

جماليات الخط العربي وتشكيلاته في الواجهات المعمارية الزجاجية

The aesthetics of the Arabic calligraphy and its formations in the glass architectural facades

د. عزة عثمان بكر

مدرس بكلية الفنون التطبيقية - قسم الزجاج - جامعة دمياط

مقدمة البحث:

في مسيرة الكلمة العربية منذ البعثة المحمدية إلى عصرنا، تبين أن للحرف العربي صورة تشكيلية، أضافت إلى إمكاناته بعداً ثالثاً، بعد أن كان بعده الصوتي وحده صورة متميزة، وبعده المعنوي الذي يتكون باشتراك الحروف في أداء المضمون والمفاهيم كانت من دقة الدلالة وروعة الأداء، حتى جعلت علماء اللغة يتفرغون لدراسة تفرعات التعبير، بين ترادف وتقابل وتضاد، دراسة أبرزت ثراء مفردات اللغة العربية القرشية، التي جمع القرآن الكريم العرب جميعاً عليها، واندثرت أو كادت لهجات القبائل الأخرى. هذا البعد الثالث، كان شكله الطبع المتوحد، الطبع في قبوله للتشكل وإمكانية التنوع في الصورة، والمتوحد على اختلاف أوضاعه بين انفراد وارتباط في أول الكلمة وآخرها ووسطها. تتجلى تقنيات الزخرفة الحروفية في العمارة الإسلامية، من خلال أساليب متنوعة، أتقنها المعمار المسلم، مرتقياً بها إلى مستويات متقدمة ومبدعة. ومن ضمن تلك التقنيات الشائعة في نماذج العمارة الإسلامية، إكساء الجدران الخارجية والداخلية للمنشأ بتريعات خزفية، غالباً ما تكون ملونة وذات بريق معدني. وعادة ما يكتب الفنان المسلم «خطوطه» عليها بأنواع مختلفة من أساليب كتابة الخطوط ولاسيما أسلوب الكتابة في «الثلاث». ويلجأ المعمار المسلم إلى هذه الوسيلة من الإكساء، من أجل الحصول على مزايا إيجابية لمبناه نابعة من تلك الاستخدامات مما يضيفي إلى هذه العمارة تلك الخفة والرشاقة التي تميزها عن منتج العمارات الأخرى.

والخط العربي كظاهرة فنية وجمالية غرست عميقاً في الفكر العربي والإسلامي على المستوى الثقافي والإيديولوجي وتختصر الكثير من التأويلات الحديثة، بسبب قدرتها على إسقاط عاملي الزمان والمكان لصالح الفكر الجمالي. إن دور الحرف بحد ذاته كان في نفس الوقت مفارقة للذاتية وكشفاً للحقيقة، سرعان ما أصبح صرحاً فنياً قائماً بذاته ذلك الفن الذي لم ينفرد بنفسه كوسيلة تعبير ذهنية بل تخطاها عبر الفن المعماري ولقد ظلت أشكاله الفنية المتنوعة الغنية بطاقتها التجريدية إلى الحد الذي عبرت باستمرار في المعطى الروحي للحضارة وذلك باستمرار ظهورها ك لوحات حائطية على جدران المسجد أو ككساء من القاشاني للمنابر والقباب، أو كنص كتابي للقرآن ضمن تكوين زخرفي عام ومن هنا، فإن الاكتشاف المعاصر للخط كحرف ودلاله وقيمة جمالية هو بدورها استمرار غيبي لعقلية فنان متجاوز لذاته وواقعه النسبي في سبيل أن يستقصى أصوله من جذوره وأن يطور ابداعه عبر ثماره.